



## لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي

محمود درويش

يقولُ لها، وهما ينظران الى وردة  
تجرُّح الحائِط: اقترَب الموتُ منِّي قليلاً  
فقلتُ له: كان ليالي طويلاً  
فلا تحجب الشمسَ عني!  
وأهديتُهُ وردةً مثل تلك . . .  
فأدَّى تحيَّته العسكرية للغيب،  
ثم استدارَ وقالَ:  
اذا ما أردتك يوماً وجدُّتك  
فاذهب!

ذهبتُ . . .

انا قادمٌ من هناك

سمعتُ هسيسَ القيامةِ ، لكنني  
لم أكن جاهزاً لطقوس التناسخ بعد ،  
فقد يُنشد الذئبُ أغنيتي شامخاً  
وانا واقفٌ ، قرب نفسي ، على اربعٍ  
هل يصدقني أحد ان صرخت هناك :  
أنا لا أنا

وأنا لا هُو؟

لم تلدني الذئبُ ولا الخيل . . .

اني خلقتُ على صورةِ الله  
ثم مُسختُ الى كائنٍ لُغويٍّ  
وسميتُ آلهتي

واحدا

واحداً ،

هل يصدقني احد ان صرخت هناك :

انا ابن أبي ، وابن أمي . . . ونفسي

وقالت : أفي مثل هذا النهار الفتيّ الوسيم

تفكرٌ في تبغاتِ القيامةِ؟

قال : اذن ، حدّثيني عن الزمن

الذهبي القديم

فهل كنتُ طفلاً كما تدّعي امهاتي

الكثيرات؟ هل كان وجهي دليل

الملائكة الطيبين الى الله ،  
لا أتذكّر . . . لا أتذكّر أني فرحتُ  
بغير النجاة من الموت !  
من قال : حيث تكون الطفولةُ  
تغتسل الأبدية في النهر . . . زرقاء ؟  
فلتأخذيني الى النهر /

قالت : سيأتي الى ليلك النهر  
حين أضُمَّك  
يأتي الى ليلك النهر /

اين أنا الآن؟ لو لم ارَ الشمسَ  
شمسين بين يديك ، لصدّقتُ  
أنك احدى صفات الخيال المرّوض  
لولا هبوب الفراشات من فجر غمّازتيك  
لصدّقتُ أنّي اناذيك باسمك  
ليس المكان البعيد هو اللامكان  
وانتِ تقولين :  
”لا تسكن اسمك“  
”لا تهجر اسمك“!

ها نحن نروي ونروي بسرديّة  
لا غنائيةٍ سيرة الحالمين ، ونسخرُ مما  
يحلّ بنا حين نقرأ ابراجنا ،

بينما يتطفّلُ عابرِ دربٍ ويسألُ :  
اين انا؟ فنطيل التأمل في شجر الجوز  
من حولنا، ونقول له :  
ههنا . ههنا . ونعود الى فكرة الأبدية!  
ليس المكان هو الفخ . . .  
مقهى صغير على طرف الشارع  
الشارع الواسع  
الشارع المتسارع مثل القطارات  
تنقل سكانها من مكان لآخر . . .  
مقهى صغير على طرف الشارع  
الشارع الواسع  
الأسطوانة لا تتوقف - قالت له  
قال : بعد دقائق نخرج من ركننا  
الى الشارع الواسع المتسارع  
مثل القطارات ،  
ثم يجيء غريبان ، مثلي ومثلك ،  
قد يكملان الحديث عن الفنّ ،  
عن شهوات بيكاسو ودالي  
وأوجاع فان غوغ والآخرين . . .  
وعمّا سيبقى من الحب بعد الاجازة ،  
قد يسألان : افني وسع ذاكرة  
ان تعيد الى جسدٍ شحنة الكهرباء؟  
وهل نستطيع استعادة احساسنا  
بالرطوبة والملح في اول البحر

بعد الرجوع من الصيف؟/

ليس المكان هو الفخ

في وسعنا ان نقول :

لنا شارع ههنا

وبريد

وبائع خبزٍ

ومغسلَةٌ للثياب

وحانوت تبغٍ وخمر

وركنٌ صغير

ورائحةٌ تتذكر/

ها نحنُ نشربُ قهوتنا بهدوءِ اميرين

لا يملكان الطواويس ، انت اميرة نفسك

سلطانةُ البر والبحر ، من أخمص القدمين

الى حيرةِ الريحِ في خصلة الشعر .

في ضوءِ يأسكٍ من عودةِ الأمسِ

تستنطقين حياةً بديهيةً . وبلا حرسٍ

تحرسين ممالكَ سريةً . وأنا ، في

ضيافةِ هذا النهار ، اميرٌ على حصتي

من رصيفِ الخريفِ . وأنسى من المتكلمِّ

فيينا لفرطِ التشابهِ بين الغيابِ وبين

الإيابِ اذا اجتمعا في نواحي الكمنجات

لا أتذكرُ قلبي الا اذا شقَّه الحبُّ

نصفين ، او جفَّ من عطش الحب ،  
او تركتني على ضفة النهر احدى صفاتك !  
ضيفاً على لحظة عابرة  
اتشبَّتُ بالصحو ،  
لا امس حولي وحولك  
لا ذاكرة ،  
فلتكن مَعنوياتنا عالية

عصافيرُ زرقاءُ ، حمراءُ ، صفراءُ ، ترتشف  
الماء من غيمةٍ تتباطأ حين تُطلُّ على  
كتفيك . وهذا النهار شفيفٌ خفيفٌ  
بهئيُّ شهبيُّ ، رضيُّ بزواره ، انثويُّ ،  
بريُّ جريءٌ كزيتون عينيك . لا شيء  
يبتعد اليوم ما دام هذا النهار  
يرحّب بي ، ههنا يُولّد الحبُّ  
والرغبةُ التّوأمان ، ونولدُ . . . ماذا  
أريد من الأمس ؟ ماذا أريد من  
الغد ؟ ما دام لي حاضرٌ يافعٌ استطيع  
زيارة نفسي ، ذهاباً اياباً ، كأني  
كأني . وما دام لي حاضرٌ استطيعُ  
صناعة امسي كما اشتهي ، لا كما  
كان . إني كأني . وما دام لي  
حاضرٌ استطيع اشتقاق غدي من  
سماءٍ تحنُّ الى الأرض ما بين

حربٍ وحربٍ ، وإني لأني !  
تقول : كأنك تكتبُ شعراً  
يقول : اتابع ايقاعَ دورتي  
الدموية في لغة الشعراء . أنا ،  
مثلاً ، لم أحبّ فتاةً معينةً  
عندما قلتُ اني أحبُّ فتاةً ، ولكنني  
قد تخيَّلتُها : ذاتَ عَيْنينِ لوزيتين ،  
وشعرٍ كنهجِ السوادِ يسيلُ على  
الكتفينِ ، ورُمَّانيتينِ على طبقِ مرمرِي .  
تخيلتها لا لشيءٍ ، ولكن لأسمعها  
شعرَ بابلو نيرودا ، كأني أنا هو ،  
فالشعرُ كالوهمِ /

ليس المكان هو الفخّ  
لم أنتظركِ لتتظريني ، فمثلك منْ  
يأمرُ الحُلْمُ بالانتظارِ الطويلِ على  
ركبتَيْها . خذيني الى اللامكانِ المُعدِّ  
لأمثالنا الضالعين بتأويلِ ذاكرةِ الغيمِ  
بين الربيعِ وبين الخريفِ ، وأما  
الربيعُ ، فما يكتبُ الشعراءُ اذا نجحوا  
في التقاطِ المكانِ السريعِ بضنارةِ  
الكلماتِ . وأما الخريفُ ، فما نحن فيه  
من الاهتداءِ برائحةِ الشجرِ العاطفيِّ  
وبحثِ الغريبةِ في كلماتِ الغريبِ عن

اسم الحنين . . . وعن شبيهه غائم  
في ثنائية الشعر والنثر . لا النثر نثر  
ولا الشعر شعرٌ اذا ما همست :  
احبك ! او قالت امرأة في القطار  
لشخص غريب ، أعني على  
نحلة بين نهدي . . . او قال شخص كسول  
لإسكندر الأبراطور : لا تحجب  
الشمس عني . ولكنني اذ أغني ،  
أغني لكي أغري بالموت بالموت /

ليس المكان هو الفخ  
ما دمت تبسمين ولا تأبهين  
بطول الطريق . . . خذيني كما تشتهين  
يداً بيد ، او صدئ للصدى ، او سدى .  
لا أريد لهذي القصيدة ان تنتهي ابدا  
لا أريد لها هدفاً واضحاً  
لا أريد لها ان تكون خريطة منفي  
ولا بلدا  
لا أريد لهذي القصيدة ان تنتهي  
بالختام السعيد ، ولا بالردى  
أريد لها ان تكون كما تشتهي ان  
تكون :  
قصيدة غيري . قصيدة ضدي . قصيدة  
ندي . . .



أريد لها ان تكون صلاة اخي وعدوي .  
كأن المخاطب فيها انا الغائب المتكلم فيها .  
كأنَّ الصدى جسدي . وكأني أنا  
أنتِ ، او غيرنا . وكأني أنا آخري !

كي او سَّع هذا المدى  
كان لا بُدَّ لي :

- من سنونوة ثانية
- وخروج على القافية
- وانتباه الى سعة الهاوية

لا أريد لهذي القصيدة ان تنتهي  
لا أريد لهذا النهار الخريفي ان ينتهي  
دون ان نتأكد من صحة الأبدية .  
في وسعنا أن نحبَّ ،  
وفي وسعنا أن نتخيل أنا نحبُّ  
لكي نُرجى الانتحار ، اذا كان لا بدَّ منه ،  
الى موعد آخر . . .  
لن نموت هنا الآن ، في مثل  
هذا النهار الزفافي ، فامتلي  
بيقين الظهيرة ، وامتلي واملئيني  
بنور البصيرة /

ينبئني هذا النهار الخريفي

---

أنا سنمشي على طرق لم يطأها  
غريبان قبلي وقبلك الا ليحترقا  
في البخور الالهي .  
ينبئي اننا سوف نسمع طيرا تعني  
على قدر حاجتنا للغناء . . . خفيفاً  
خفيّ التباريح ، لا رعويا ولا وطنياً  
فلا نتذكر شيئاً فقدناه/

ان الزمان هو الفخ  
قالت : الى أين تأخذني؟  
قال : لو كنت اصغر من رحلتي  
هذه ، لأكتفيتُ بتحويل آخر فصل  
من المشهد الهوميري . . . وقلتُ :

سريرك سرّي وسرُّك ،  
ماضيك يأتي غدا  
على نجمة لا تصيب الندى  
بأذى ،  
أنام وتستيقظين فلا انت مُلتفتة  
بذراعي ، ولا أنا زُنَّارُ خصرِك ،  
لن تعرفيني  
لأن الزمان يُشيخ الصدى  
وما زلتُ أمشي . . . وأمشي  
وما زلتُ تتظرين بريد المدى

أنا هو ، لا تُغلقي باب بيتك  
ولا ترجعيني الى البحر ، يا امرأتي ، زيدا  
انا هو ، من كان عبداً  
لمسقط رأسك . . . او سيّدا  
انا هو بين يديك كما خلقتني  
يداك ، ولم اتزوّج سواك  
ولم أشفَ منك ، ومن نُدبتي ابدا  
وقد راودتني الهات كل البحار سدى  
أنا هو ، من تفرطين له الوقت  
في كُرة الصوف ،  
ضلّ الطريق الى البيت . . . ثم اهتدى  
سريرك ، ذاك المخبأ في جذع زيتونة  
هو سرّي وسرُّك . . .  
قالت له : قد تزوجني يا غريبُ  
غريبُ سواك  
فلا جذع زيتونة ههنا  
او سرير ،  
لأن الزمان هو الفخ /

ينبئني ضوء هذا النهار الخريفيّ  
أنّي رأيتك من قبل ، تمشين حافيةً  
القدمين على لغتي ، قلت : سيرري  
ببطءٍ على العشب ، سيرري ببطءٍ  
لكي يتنفّس منك ويخضّر . والوقت

منشغلٌ عنك . . . سيرى ببطءٍ لأمسك  
حلّمي بكلتا يديّ . رأيتك من قبل  
حنطيّةً كأغاني الحصاد وقد دلّكتها  
السنابل ، سمراءً من سهر الليالي ،  
بيضاء من فرط ما ضحك الماء حين  
اقتربت من النبع . سيرى ببطءٍ ،  
فأنتى مشيت ترعرعت الذكريات حقولا  
من الهندباء ، رأيتك من قبل في  
الزمن الرعويّ  
على قدر ليل الغريب  
تنامُ الغريبةُ/

فاحتجبي ، واظهري ، والعيبي ، واكسري  
قدري بيديك الحريريتين ، ولا تخبريني  
الى اين تمضين بي في دهاليز سرّك ،  
لا تخبريني الى اين تمضين بعدي  
الى اين اذهبُ بعدك . لا بعد  
بعدك . ولنعتنِ الآن بالوردة الليلية  
ولتُكمل الأبدية اشغالنا دوننا ،  
ان اطلنا الوقوف على النهر او  
لم نُطل . سوف نحيا بقية هذا  
النهار . سنحيا ونحيا . وفي الليلِ ،  
ان هبط الليل ، حين تنامين فيّ  
كروحي ، سأصحو بطيئاً على وُقَع

حلم قديم ، سأصحو واكتب مرثيتي .  
هادئاً هادئاً . وارى كيف عشت  
طويلاً على الجسر قرب القيامة ، وحدي  
وحرّاً . فإن اعجبتي مرثيتي دون  
وزن وقافية نمت فيها ومُتُّ  
والا تقمصت شخصية الغجري  
المهاجر :

جيتارتي فرسي  
في الطريق الذي لا يؤدي  
الى أيّ أندلسٍ  
سوف ارضى بحظ الطيور وحرية  
الريح . قلبي الجريح هو الكون .  
والكون قلبي الفسيح . تعالي معي  
لنزور الحياة ، ونذهب حيث اقمنا  
خياماً من السرو والخيزران على  
ساحل الأبدية . ان الحياة هي اسم  
كبير لنصر صغير على موتنا . والحياة  
هي اسمك يطفو هالاً من اللازورد  
على العدم الأبيض ، استيقظي وانهضي ،  
لن نموت هنا الآن ، فالموت حادثة  
وقعت في بداية هذي القصيدة ، حيث  
التقيت بموت صغير وأهديته وردة ،  
فانحنى باحترام وقال : اذا ما أردتك  
يوما وجدتك /

---

فلتتدرب على حُبِّ أشياء ليست  
لنا، ولنا . . . لو نظرنا إليها معاً من علٍ  
كسقوط الثلوج على جبلٍ  
سيغني لك العجري، كما لم يغنّ:  
أقول لها  
لن أبدل أوتار جيتارتي  
لن أبدلها  
لن أحملها فوق طاقتها  
لن أحملها  
لن أقول لها  
غير ما تشتهي ان أقول لها  
حملتني لأحملها  
لن أبدل أوتارها  
لن أبدلها

لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي  
لا أريد لهذا النهار الخريفي أن ينتهي